جواب جملة يسألونك في القرآن الكريم

"دراسة نحوية"

د .عبدالجبار احمد صالح(*)

من القضايا التي ظلت معلقة إلى حد الآن قضية تصنيف الشرط كمفهوم وكمصطلح ولا مناص للناظر في التراث النحوي الكلاسيكي وكذلك في المحاولات المتحدثة هل الشرط حكم لغوي عام أم هو أسلوب تركيبي[1] شأنه شان الاستفهام[2] إذ بينما من المشابهة ما لإخفاء به إلا ترى إنك إذا قلت أضربت زيداً؟ كنت طالباً لما لم يستقر عندك كما أنك إذا قلت (أن تضرب زيداً أضرب) كان كلاماً معقولاً على الشك، فإذا ثنت المشابهة بينهما من هذا الوجه، فينبغي أن يحمل أحدهما على الآخر فكما لا يجوز أن يتقدم ما بعد الاستفهام عليه فكذلك الشرط[3] وكذلك يدعونا التساؤل عن الشرط هل هو أسلوب تركيبي أم مفهوم نوعي بحيث لو قلنا (جملة شرطية يكون تحديداً لنوعية بنية الجملة كما لو قلنا (جملة فعلية أو جملة اسمية أم

(*) قسم اللغة العربية _ كلية الآداب / جامعة الموصل.

(1) الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات الوصفية د. عبدالسلام المسدي و د. عبدالهادي الطرابلسي، ص 10.

(2) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن سعيد الانباري، 2/ 637 وانظر الشرط في القرآن الكريم، ص 10.

(3) الإنصاف في مسائل الخلاف 2 / 637.

أنه مفهوم وظائفي فيكون نعتنا للجملة بأنها شرطية في نفس المجال السياقي لقولنا جملة فعلية أو حالية)[4].

ولما ذكر سابقاً من كون شأن الشرط كالاستفهام وكما يقول أبن الحاجب أيضا (وكذا أسماء الشرط كلها كنايات وذلك لأن كلمات الشرط والاستفهام بمعنى أي الموضوع للمعين شرطاً أو استفهاماً عن المعينات غير المحصورة اختصاراً)[5].

ونود أن نقارن بين الشرط والاستفهام وبما يأتي:

أ. إن التركيب الشرطي – لما كان مجانساً للاستفهام – فهو نمط من التراكيب يؤول إلى أسلوب من الأساليب.

ب. إن اعتبار التراكيب الشرطية كالاستفهام هو الذي دفع بالنحاة إلى الاهتمام بجواب الشرط اكثر من اهتمامهم بالشرط[6] ويوضح ابن يعيش ذلك مبرراً أن التركيب الشرطي إنما يكون بالمستقبل. وما لم يرضخ لذلك المقياس فيجب النظر في نوعية الأداة التي تتصدر تركيبة وفي هذا السياق يحاول تعليل مقاييسه باستنباط تعريف شبه مجرد للشرط إذ يقول (والشرط إنما يكون بالمستقبل لأن معنى تعليق الشيء على شرط إنما هو وقوف دخوله في الوجود على ودخول غيره في الوجود ولا يكون هذا المعنى فيما مضى[7].

ولعل هذا الأمر يدعونا إلى أن الأصل في التركيب الشرطي لما قد يتقرر لا بما قد تقرر وهكذا تحتم على النحاة النظر في أنواع أدوات الشرط ومعانيها الخاصة

(4) الشرط في القرآن الكريم، وينظر شرح الشرط الكافية في النحو، أبن الحاجب النحوي 1 / 99.

(5) الكافية: لأبن الحاجب 1 / 93.

(6) الشرط في القرآن الكريم، ص 18.

(7) شرح المفصل 8 / 155 وانظر: الشرط في القرآن الكريم، ص 18.

لأنها قد تلون معنى الشرط الأصلي كـ (لو) مثلاً التي تحول مضمون الكلام من المستقبل إلى ما مضى[8] وقد تواترت الجملة الشرطية بلو في القرآن 198 مرة 1379 بنسبة 35 / 14 % [9] من مجموع تراكيب أدوات الشرط.

ولعل ما ذكر عن دخول لو على الماضي في أسلوب الشرط نجد تعليله بقول أبن هشام (وإذا ولها ماضٍ أول بالمستقبل)[10] نحو وليخش الذين لو تركوا)[11] أو مضارع تخلص للاستقبال كما في أن الشرطية.

ومهما يكن من أمر أدوات الشرط جازمة أو غير جازمة فالمهم هو جملة الشرط إذ أن الجملة (عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد كقولك زيد قائم أو لم يفد كقولك إن يكرمني فإنها جملة لا تفيد إلاّ بعد مجيء جوابه فتكون الجملة اعم من الكلام مطلقاً[12].

وهذا ما حدا بالنحاة إلى التريث في الشرط وتسميته من وجهين:

أ. هل التركيب الشرطي (جملة نحوية) واحدة أم جملتان ويقول بعض المحدثين (وفي هذا الصدد كانوا يحومون حول جوهر القضية دونما استقرار ولعل ابن يعيش قد قارب الإحساس الواضح بتكامل التركيب الشرطي نحوياً فلم يكن بينه وبين الإدراك الواضح بأن الشرط كل لا يتجزأ إلا شيء يسير[13] (وتدخل أن على جملتين فتربط إحداهما بالأخرى وتصيرهما كالجملة نحو

(8) الشرط في القرآن الكريم، ص 18.

(9) م. ن: ص 57، 58، 59، 69.

(10) سورة النساء من الآية 9.

(11) أوضح الملك 3 / 203.

(12) التعريفات، علي بن محمد علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف، ص48.

(13) الشرط في القرآن الكريم: د. عبدالسلام الحدي و د. محمد الهادي الطرابلسي، ص 20.

قولك إن تأتني آتك والأصل: تأتني أتيك فلما دخلت إن عقدت إحداهما بالأخرى حتى لو قلت إن تأتني وسكت لا يكون كلاماً حتى تأتي بالجملة الأخرى)[14].

ب. هل الجملة الشرطية نوع بذاته أم انه يلحق بأحد الصنفين الرئيسين؟ وهكذا انتهت بهم نظرتهم التفكيكية وتقيدهم بهيكل التصنيف الثنائي للجملة إلى الغفلة عن خصائص التركيب الشرطي من الداخل وانشغلوا بقضايا الشكل وأبرزها التقدير الأعرابي والبحث عن العامل في جواب الشرط[15].

وملخص القول عن تركيب الشرط عند النحاة أن هناك لحمة عضوية في التركيب الشرطي عرفت الجملة الشرطية من خلاله بأنها جملة مركبة تشتمل على جملتين متلازمتين مسبوقتين بأداة شرط لا يتم معنى أولا هما إلا بالثانية[16].

واستكمل بعضهم تعريف الشرط في ما اصطلح عليه بالجمل ذات الشقين وعرفه بأنه (أسلوب لغوي ينبني على جملة ميكانيكية تتألف من أداة (حرف أو اسم) ومن تركيبين سمي الأول الشرط والثاني الجواب أو الجزاء تقوم الأداة بربط التركيبين أو الشقين ارتباطاً وثيقاً يحول دون استقلال

(14) الشرح المفصل 8 / 156.

(15) أسرار العربية، أبن الانباري، ص 326.

(16) في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، ص 57.

أحدهما عن الآخر ينزل الشق الأول منزلة السبب والشق الثاني منزلة المسبب)[17].

وقد تحدث النحاة عن الرابط الذي يربط بين التراكيب حتى يتألف منها تركيب شرطي فمنها ما يجزم فعلين هما فعل الشرط وجوابه فالجوازم (قسمان ما يجزم فعلاً واحداً وما يجزم فعلين)[18].

وما كان من الأول فمعنى ذلك أن جملة الشرط على ما هي عليه من حالها الأعرابي فهي في محل جزم بما يقتضيه الشرط ولما يترتب عليه من تمام المعنى، أما ما كان من الثاني أي ما كان بالأداة فهو متحقق بها فالشرط هو حصول أمر يسببه آخر باقترانهما بالأداة الفعلية والعقلية أي بأداة الشرط وركناها الفعل والجواب أو الأداة والجزاء[19].

وقد عدّها الزمخشري من أقسام الجملة إذ هي عنده أربعة أقسام (جملة اسمية، وجملة فعلية، وجملة شرطية، وجملة ظرفية) وهو بذلك يجعل الجملة الشرطية قسماً مستقلاً بذاته لكن شارح الفصل يرد عليه هذا بقوله (إن جملة الشرط فعلية لأنها من جملتين فعليتين)[20].

(17) الألسنية العربية، ريمون طحان 2 / 90 ـ 91 وينظر: الشرط في القرآن، ص 22.

(18) المنهج السلك إلى مقاصد ألفية أبن مالك، محمد أمين بن خير الله الخطيب العمري، ص 457، وينظر الإيضاح في شرح المفصل لأبن الحاجب 2 / 241.

(19) شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك 3 / 96.

(20) شرح المفصل، ابن يعيش 1 / 18 وينظر نحو المعني: د. احمد عبدالستار الجواري، ص 108.

ويقول أحد الباحثين[21] (وقول ابن يعيش هذا تنقصه الدقة ويجانب الصواب لأن جملتي الشرط ليستا فعليتين على الدوام بل قد تكون جملة جواب الشرط اسمية نحو[22] (أن تقم فأنا قائم، قال تعالى (فمن لم يتب فأولئك هم الظالمون) ولعل الزمخشري لم يجانب الصواب كثيراً باعتبار ما ذهب إليه فيما إذا اخذ تسمية الجملة حسب بدايتها من حيث الفعلية أو الاسمية[23].

قال ابن مالك في ألفيته[24]

فعِلينِ يقتضين شرطاً قُدّما يتلو الجزاءَ والجواب وُسِما

يعني أن هذه الأدوات المذكورة وهي الأدوات الجازمة للمضارع يقتضين جملتين إحداهما – وهي المتقدمة تسمى شرطاً والثانية وهي المتأخرة تسمى جواباً وجزاء ويجب في الجملة الأولى أن تكون فعلية وأما الثانية فالأصل فيها أن تكون فعلية ويجوز أن تكون اسمية[25] وهذا ما يفسر لنا معنى الجزاء إذ الأصل الفعلية فيهما أي في ركني الشرط وإذا كان الشرط والجزاء جملتين فعليتين فيكونا على أربعة أنحاء ذكرها ابن مالك في قوله[26]

وماضيين ومضارعين تلفيهما – أو متخالفين

وعلى التركيب الآتي:

(21) نحو المعاني، ص 108.

(22) الحجرات: الآية 17.

(23) نحو المعاني ص 108، وينظر شرح المفصل، ص 29، 34، 35، 37.

(24) شرح ابن عقيل 3 / 96.

(25) م . ن:

(26) م. ن: 96 – 97.

الأول: أن يكون الفعلان ماضيين نحو أن قام زيد قام عمرو ويكونان في محل جزم[27] ولا أرى في المضي إلا تقرير الحدث في المستقبل وإلا لما صح أن يقال في محل جزم ذلك لأن الماضي من الأفعال مبني وفي قوله تعالى (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم)[28] والتأويل لا يحتمل إلا المستقبل.

والثاني: أن يكونا مضارعين نحو (إن يقم زيد يقم عمرو) ومنه قوله تعالى (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)[29].

والثالث: أن يكون الأول ماضياً والثاني مضارعاً نحو (إن قام زيد يقم عمرو) ومنه قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها)[30] والذي يأخذ بالدنيا في تقرير ما ذكرناه آنفاً من أن الأصل في الشرط المضارعة ما ذهب إليه البيضاوي بقوله وقريء (يوفي بالباء أي يوف الله وتوفّ على البناء للمفعول)[31].

والرابع: أن يكون الأول مضارعاً والثاني ماضياً وهو قليل ومنه[32]

من يكدني بسيء كنت منه كالشجا بين حلقه والوريـــد

وقوله صلى الله عليه وسلم (من يقم ليلة القدر غفر له ما تقدم من ذنبه)[33] ومهما يكن من أمر أسلوب الشرط فهو حاصل بأدوات تنقسم على ثلاثة أقسام:

---

(27) م. ن:

(28) الإسراء: الآية 17.

(29) البقرة: الآية 284.

(30) هود: الآية 15.

(31) تفسير البيضاوي ص 248.

(32) شرح ابن عقيل 3 / 97.

أحدهما ما كان اسماً غير ظرف نحو من وما وأيهم ومهما و الأصل فيها على قول الخليل (ما ما) فكر هو اجتماع حرفين من جنس واحد وأبدلوا من ألف (ما) الأولى (هاء) وأجاز سيبويه أن تكون مركبة من (مة) التي للكف و (ما) للشرط[34] والثاني ما كان ظرفاً نحو أين ومتى وأنى وأي حينٍ وحيثما[35] والثالث ما كان حرفاً نحو إن وإذ ما (وليست إذ هي التي في قولك جئتك إذ عبد الله قائم لأن تلك معناها للاستقبال وهذه للمضي ومما يدلل على إنها حرف قول سيبويه (ومن غيرهما إن وإذ ما) يعني من غير الأسماء والظروف فما جاء من الشرط بمن قول زهير)[36]. [37]

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يغره ومن لا يتق الشتم يشتم

ومما جاء بـ (أين) قول الشاعر[38]

أين تضرب بنا الغداة تجدنا نصرف العيسَ نحوها للتلاقي

ومما جاء بـ (أنى) قول طرفة[39]

ولست بحلال التلاع مخافةً ولكن متى يسترقد القوم ارفدِ

ومما جاء بـ (أنى) قول لبيد[40]

فأصبحت أنى تأتها تستجر بها كلا مركبيها تحت رجلك ساجر

---

(33) م. ن 3 / 98.

(34) الكتاب 428/1.

(35) م.ن.

(36) ديوانه ص30.

(37) شرح عيون الأعراب، أبو الحسن علي بن فضال الجاشعي ص 289.

(38) نسبه سيبويه في كتاب ال 432 إلى الشاعر عبدالله بن هشام السلولي.

(39) ديوانه ص 24.

(40) ديوان ص 220.

ومما جاء بـ (مهما)

قول الأسود بن يعفر[41]

ألاّ ما لهذا الدهـر مـن متعـــــلل عن الناس مهما شاء بالناس يفعل

ومما جاء بـ (إذ ما) قول العباس بن مرداس.

إذ ما اثبت على الرسـول فقـل لـــه حقاً عليك إذا اطمأن المجلس

أمـا إذا فالأشـهر (أنهـا لا تجـزم وان كـان منهـا معنـى الشـرط لأنهـا مؤقتـة فخالفت (إن) لأن حكم الشرط أن يكون مهما ومما يدلك على الفرق بينهما انك تقول: أتيك إذا أحمر البر ولم قلت آتيك إن احمر البر كان قبيحاً وربما جزم بهما في الشعر[42].

قال الفرزدق[43]

ترفع لي خندف والله يرفع لي ناراً إذا ما خبت نيرانهم تقد

وقد أجاز صاحب الكتاب الجزم بـ (إذا) في حال السعة[44]

وقيل (إذ تشبه إن في الجزاء فجزم بها كما جزم بـ (أن) فأن عضد ذلك سماع في منثور الكلام حمل على هذا وإلا فالوجه الرفع[45].

بعد السرد الذي قدمناه عن الجملة الشرطية وموقعها بين أنواع الجمل عند النحاة من عدمه وما كان من عرض لأدوات الشرط وأنواعها يبدو لنا صحة

(41) ديوان ص 56.

(42) شرح عيون الأعراب ص 290.

(43) ديوانه ص 175.

(44) سيبويه 1 / 434.

(45) شرح عيون الأعراب ص 291.

الشرط أو التركيب الشرطي لا تظهر واضحة جلية إلا في المضارع في إفادة تحقيق ذلك وام الباب منه هي (أن) التي تطلب الشرط والجزاء بالجزم وما عداها مما يتحقق به الشرط فهو محمول عليها أو يدور في دائرتها لا غير.

ويبدو أن جملة يسألونك في القرآن الكريم تقتضي جواباً لها فكأنها أغنت عن فعل الشرط وجوابه فهي بتقدير إذا يسألك وقد بدا لنا أن جملة جواب يسألونك تؤدي هذه الوظيفة في القرآن الكريم في إطار الجار أي في حالات يكون التركيب الشرطي فيها شاحناً لحلقة المجرور من سلسلة الكلام[46] (ولما تنافر حرف الجر وأداة الشرط تنافراً دلالياً إذ الأول ذو مضمون إقرأي، الثاني افتراضي تعذر اتصالها مباشرة فلزم عن ذلك ان كانت الجملة الشرطية المسبوقة بحرف جر والمتخصصة للتعليل قائمة في بنيتها على تقديم الجواب وتأخير الشرط) قال تعالى

(ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء)[47]

وقال تعالى

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)[48]

وقد ورد الفعل بمعناه الحقيقي والذي هو مجال دراستنا على صيغ الأمثلة الخمسة هذه سبع عشرة مرة في القرآن الكريم.

وقد يصح أن تقدر إذا سألك، فالتقدير يصح بالماضي وبالمضارع أيضا على أن الماضي ابلغ في تقرير المساءلة قال تعالى (وإذا سألك عبادي عني فأني قريب

(46) الشرط في القرآن ص 156.

(47) الأحزاب: الآية 33.

(48) البقرة الآية 217.

أجيب دعوة الداعي إذا دعاني)[49] فالسؤال ينبني عليه الجواب وهذا ما سنعرضه في دراستنا هذه لجملة الجواب فهي على تراكيب مختلفة وكما يأتي:

أولاً: جملة يسألونك تعدى فعلها بحرف الجر (عن) في إحدى عشرة آية قال تعالى (يسألونك عن الأهلة)[50] وقال تعالى (ويسألونك عن الشهر الحرام)[51] وقال تعالى (ويسألونك عن الخمر والميسر)[52] (ويسألونك عن اليتامى)[53] قال تعالى (ويسألونك عن المحيض)[54] قال تعالى (يسألونك عن الساعة)[55] وقال تعالى (يسألونك عن الأنفال)[56] وقال تعالى (يسألونك عن الروح)[57] قال تعالى (ويسألونك عن ذي القرنين)[58].

قال تعالى (ويسألونك عن الجبال)[59] قال تعالى (ويسألونك عن الساعة)[60].

فـ(عن) هنا وردت عن السؤال المحض ومنه ما يتعلق بأمور الحياة العامة أو قل الظواهر الطبيعية مثل الأهلة والجبال وهي ماثلة أمام عين العربي لكنها تحتاج إلى فهمها في الأمور المتعددة ظنوها غير واضحة أو هي معجزة في كنهها

(49) البقرة: الآية 186.
(50) البقرة: الآية 189.
(51) البقرة: الآية 217.
(52) البقرة: الآية 219.
(53) البقرة: الآية 220.
(54) البقرة: الآية 222.
(55) المائدة: الآية 4.
(56) الأنفال: الآية 1.
(57) الإسراء: الآية 85.
(58) الكهف: الآية 83.
(59) طه: الآية 105.
(60) النازعات: الآية 42.

فسألوا عنها مستخبرين طبيعتها معتقدين عدم قدرة الرسول صلى الله وعليه وسلم على الإجابة عنها وأضافوا إلى ذلك السؤال عن الأمور التي تحس ولا تدرك (ويسألونك عن الروح)[61]، وقوله تعالى (ويسألونك عن الساعة)[62] فصح في التقدير أن (عن) دخلت على جملة اسمية استفهامية والتقدير ما الأهلة؟ وما الجبال؟ وما الروح؟ وما الساعة؟.

ولعل هذا التقدير هو الذي يأخذ بأيدينا إلى تقرير (إن الجمل الاسمية هي التي يتكون طرفاها من اسمين لأن الجملة في اللغات الأخرى لا يمكن أن تخلو من الفعل وفاعل الكون لابد منه إذ لم يكن في الكلام غيره من الأفعال. أما الجملة العربية فمنها ما يكون طرفاً الإسناد فيها اسمين على أن يكون في إحداهما معنى الوصف كما نص على ذلك النحاة)[63].

لذلك تبين أن الاستخبار الذي تهيأ عن تلك الأمور التي ذكرت في الآيات كان بوساطة (عن) (وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول أن الجملة الاسمية في اللغة العربية لا تشتمل على معنى الزمن فهي جملة تصف المسند إليه بالمسند ولا تشير إلى حدث ولا إلى زمن فإذا أردنا أن نضيف عنصراً زمنياً طارئاً إلى معنى هذه الجملة جئنا بالأدوات المنقولة عن الأفعال وهي الأفعال الناسخة فأدخلناها على

(61) الإسراء: الآية 85.

(62) النازعات: الآية 42.

(63) نحو التيسير، د. احمد عبدالستار الجواري، ص 114 ـ 115، وينظر الدلالة الزمنية في الجملة العربية د. على جابر المنصوري، ص 35.

الجملة الاسمية فيصبح وصف المسند إليه بالمسند منظوراً إليه من وجهة نظر زمنية معينة)[64].

وفي نوع آخر من الجمل الواقعة بعد الفعل يسألونك وجدنا الفعل يتعدى بنفسه قال تعالى (يسألونك ماذا ينفقون)[65] وقوله تعالى (ويسألونك ماذا احل لهم)[66].

ويبدو لنا أن في الجملة توكيد معنوي ذلك لأن يسألونك معناها الاستفهام وكذلك (ماذا) وهي جاءت بهذا المعنى فـ(لما تضمن السؤال معنى القول كان أوقع على الجملة.... وإنما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لأن يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في أمثاله والمسؤول عنهم، ما احل لهم من المطاعم فأنهم لما تلى عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم)[67] فجاء الجواب بالأمر (قل أحل لكم الطيبات)[68] أي (ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب أو ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته)[69] وعند التمعن في جملة يسألونك وجوابها تبين أن جوابها أنحصر فيما يأتي:

1. الأمر وقد تصدر جواب جملة يسألونك وجاءت الجملة بعدها اسمية قال تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)[70] فالفعل (قل) قد تصدر في الأغلب جملة الجواب وفيه تأكيد على أن الجواب من الله سبحانه وتعالى، ولرسوله

(64) اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان وينظر الدلالة الزمنية في الجملة العربية ص 35.

(65) البقرة: الآية 219 ، 235.

(66) المائدة: الآية 4.

(67) تفسير البيضاوي، ص 144.

(68) المائدة: الآية 4.

(69) البيضاوي: ص 144.

(70) البقرة: الآية 189.

الكريم صلى الله عليه وسلم النقل (النصي) إن صح التعبير وفيه كذلك مسألة الحسم في الجواب القطعي الذي لا يقبل غيره ولذلك وجدنا الجملة الجوابية مصدرة بلفظة "هي" التي تفيد التوكيد كما في قوله تعالى (قل هي مواقيت للناس والحج)[71] وكان السياق للآية يوحي بأن ما صدر من المشركين السالين عن الأهلة من لا شأن له بذلك فكان التعقيب بتمام الآية (وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون)، فلما أجابهم بدأ أولا بعموم الحالة التي هي التوقيت للناس[72] ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان ركن من أركان العبادات وهو الحج ثم عطف بالواو على مواقيت وكأن فيه زجراً للمتسائلين عما وراء ذلك ولا شأن لهم فيما خلق إلا بقدر ما تقبله عقولهم وفيه فائدتهم ولذلك جعل السؤال الوجيه لأجل المعرفة لا لأجل الجدال شأنه في ذلك شأن من يأتي البيوت من أبوابها وهو الصحيح وهو من البر وليس إتيانها من ورائها كذلك وذلك واضح في إرادة السؤال الحقيقي الذي غايته المعرفة لا جدال ولا مجادلة فيه.

2. ورود جملة يسألونك بعد الاستفهام على حقيقته عن أمر يجهلونه قال تعالى (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خيرٍ فللوالدين والأقربين والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فأن الله به عليم)[73]. فالجملة مبدوءة بالاستفهام (ماذا؟) التي تفيد طلب المعرفة على حقيقتها لذلك وجدنا الجواب مصدراً بالاسم الموصول ما والذي يحتاج إلى إزالة إبهام فكان التفصيل في الأصناف التي يكون الإنفاق لها خيراً يعلمه الله إن فعل وهو به عليم ولذلك اقتضى الجواب أن يتعلق بالأصناف المذكورة وأفاد ذلك التعلق ذكر الجار والمجرور.

---

(71) البقرة: الآية 189.

(72) البقرة: الآية 189.

(73) البقرة: 215.

كما أفاد مجيء الاسم الموصول (ما) وهو بهم البس بالشرط المعروف بعلم الله وكذلك أوقع عليه تأثير الفعل وما ذاك إلا تعميم بقول كل نفقة فأن الله يعلم الخير ويوفي ثوابه[74].

3. ورود المصدر في السؤال والجواب قال تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفرُ به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله)[75] فقد وردت الجملة مصدرة بـ (عن) وهذا لا إشكال فيه لكن المشكل ورود لفظة (قتال) مجرورة فهي عند جمهور البصريين بدل لأن سؤالهم عن الشهر الحرام إنما كان من أجل القتال فيه هذا هو الظاهر[76] والذي يبدو أن الأصل يسألونك عن قتال الشهر الحرام لكن تقديم الشهر الحرام إنما كان لتهويل المسألة وتقديم الشهر الحرام هيأ الأذهان مسبقاً على تحريم القتال فيه لأنه مما يحضر فيه لفظ الحرام فعندما جيء بلفظ (قتال) كأنه أراد التنبيه على أن ما حرم فيه هو القتال وهو ظاهر من تقديم لفظ الشهر الحرام وذهب أبو عبيدة إلى أن جر لفظ الشهر الحرام كان على الجوار كما قالوا (جحر ضب خرب) وهذا من أغلاط العرب ولا يجوز ان يحمل عليه كتاب الله عز وجل[77] وذهب القراء إلى انه جر على التكرير الذي يفيد التوكيد وهذه العبارة يحتمل ان يكون أراد بها البدل ويحتمل أن

(74) تفسير البيضاوي، ص 65.

(75) البقرة: الآية 216.

(76) شرح عيون الأعراب: أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي، ص 242.

(77) شرح عيون الأعراب، ص 242.

يكون أراد بها إضمار (عن) لأن الأولى تدل عليها وهذا كأنه من قول الكسائي لأنه قال هو: على إضمار (عن)[78].

4. مجيء الجواب جملة فعلية فعلها أمر قال تعالى (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فأن الله به عليم)[79].

لما بدأ السؤال بالاستفهام عن حقيقة الأمر المنفق الذي لا يعرف قال تعالى (يسألونك ماذا ينفقون)[80] كان الجواب مصدراً بالفعل (قل) والذي بعده بينت اوجه الإنفاق تفصيلاً بعد (ما) الموصولة الملتبسة بالشرط وجاء الفعل بعدها ماضياً لتقرير حقيقة الإنفاق بأنها واجبة للأصناف المذكورة في ما بعد وهم حسب أهميتهم في الاستحقاق من الخير (الوالدان، والأقربون، والمساكين، واليتامى، وابن السبيل) فعندما جاء بالاسم الموصول (ما) أوقع عليه تأثير الفعل وما ذاك إلا تعميم بقول كل نفقة ذلك ان الله يعلم الخير ويوفي ثوابه[81].

5. في قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر)[82] وقوله (يسألونك عن اليتامى)[83] وجدنا جواب تلك الأسئلة تفصيلاً لأحكام كانت تشغل أذهان المسلمين وهم في شك منها فنزل الجواب بالآمر (قل) الذي آتى بعده جملة اسمية تقدم خبرها على المبتدأ (فيها أثم) وما نرى تقديم الخبر على المبدأ فضلاً عن المسوغ النحوي إلا للإحاطة

(78) م. ن: وينظر الكشاف للزمخشري، ص 242.

(79) البقرة: الآية 215.

(80) البقرة: من الآية 215.

(81) تفسير البيضاوي، ص 65.

(82) البقرة: الآية 216.

(83) البقرة: الآية 220.

بحصر الجواب في الخمر (فيها) وذاك مسوغ معنوي لأن الإجابة تفهم ذلك وقد قدم الإثم ثم آتى بالمنافع وما ذلك إلا لتهويل الإثم وتقليل المنافع قال تعالى (وإثمهما اكبر من نفعهما)[84] ويبدو أن ذلك سوغ تقديم الإثم على المنافع وفي قوله تعالى (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو)[85] وجدنا الجملة في غاية الاختصار فكان (العفو) معمول الفعل قل كأنه أراد بذلك ما تيسر أو ما فضل من المال ولا يبلغ منه الجهد قال الشاعر:

خذي العفو تستديمي مودتـــي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب

وما ذهبنا إليه مفهوم من أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عليه الصلاة والسلام عنه حتى كررها عليه مراراً فقال هاتها مغضباً فأخذها منه فحذفها حذفاً لو أصابه لشجه ثم قال يأتي أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى[86].

وورد أيضا قوله تعالى (يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خيراً)[87] لعل في قوله (يسألونك عن اليتامى) هناك محذوف وهو المضاف أي عن مخالطة اليتامى في أموالهم أم انهم يعتزلونه؟ فكان الجواب مداخلتهم على وجه الإصلاح خيراً من اعتزالهم قال تعالى (فان تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح)[88] أي إذا خلطتم أموالهم بأموالكم على وجه المصلحة لهم فهم إخوانكم في

(84) البقرة: الآية 219.

(85) البقرة: الآية 219.

(86) البيضاوي، ص 67 وينظر صحيح البخاري 3 / 286.

(87) البقرة: الآية 220.

(88) البقرة: الآية 220.

الدين ولذلك كان الجواب عند حصول المخالطة بلفظ فإخوانكم فكان المخالطة أوجبت الاخوة وما يترتب على الاخوة من التناصف وحفظ الحقوق والمساواة في المصلحة ولذلك ذكر الخبر الذي أغنى عن (إن وأسمها) أي بتقدير فانهم إخوانكم وما حصلت لفظة الخبر وقويت فيما يدو إلا بالحذف وهذا على سياق غير مألوف وذلك واضح ومفهوم من الاستئناف اللاحق في قوله تعالى (والله يعلم المفسد من المصلح)[89] أي فاسد المعاملة من صالحها ولا تظنون غنى في اخذ مال اليتيم لقوله تعالى (أو شاء لأعنتكم إن الله عزيز حكيم)[90]. أي لو شاء الله إعانتكم لأغناكم أي كلفكم بما يشق عليكم من العنت وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم فـ (لو) وقعت في الجواب قل وهي تفيد الامتناع عن المشقة لعدم إرادتها للعباد من الله سبحانه وتعالى رحمة بهم.

6. وفي قوله تعالى (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض)[91] وجدنا الجواب جاء بلفظ يفيد التوكيد (هو أذى) ثم عقب بعد ذلك بالأمر المحض عن وجوب عدم الجماع فكنى به عن (فاعتزلوا النساء في المحيض) وبذلك جاء بمتعلق الفعل (اعتزلوا) وهو الجار والمجرور بقوله (في المحيض) ونظير ذلك ما كان من قوله تعالى من وجوب إتيان المرأة في الجماع بقوله (من حيث أمركم الله)[92] وأفاد ذلك الجار والمجرور من سياق الآية

(89) البقرة: الآية 220.

(90) البقرة: الآية 220.

(91) البقرة من الآية 222.

(92) البقرة من الآية 222.

الكريمة (فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله)[93]. ورتب حكم الإتيان بعد الطهر بإلغاء إشعاراً بأنه العلة في ذلك.

وهكذا وجدنا جملة جواب يسألونك في القرآن الكريم عالجت أحكاما وأمورا تتعلق بأذهان الناس فكانوا في السؤال عنها صنفين، سائل يريد أن يعلم من الله ليتعلم وآخر يريد ان يفهم فكان أسلوب القرآن الكريم كما هو معروف بإعجازه قد عالج هذه المسألة على قدر ما يتعلق بأمر الناس وحياتهم وكان الجواب واضحاً وصريحاً في أمور لها أهميتها عندهم كوجوب الإنفاق وأمر الخمر وأمر اليتامى وعشرة النساء وأمر الصدقات.

أما في ما لا يعنيهم فعدل القرآن الكريم إلى التلميح في الجواب عنها ولم يكن ذلك فيما اعتقد وكما يبدو من الآيات إلا في الأمر الذي له خصوصية عند الله وهو قيام الساعة وكذلك الروح لأنهما أمران خصوصيتهما لله ولا فائدة من معرفتهما للإنسان لا بل قد يكون العكس وكذلك وردت مجموعة من أسئلتهم تتدرج تحت مشاهدهم الطبيعية والتي تشغل بالهم كما يبدو ولثباتها في حياتهم كما في قوله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها الله نسفاً)[94] أي يسألون عن حال الجبل فحذف المضاف وحل المضاف إليه محله كقولهم قطعت أصابعه أي بعض أصابعه وهذا ما أشار إليه ابن مالك في ألفيته[95].

وما يلي المضاف يأتي خلفاً عنه في الأعراب إذا ما حذف

(93) البقرة من الآية 222.

(94) طه: الآية 105.

(95) المنهج السالك إلى ألفية ابن مالك، محمد خير الدين العمري، ص 279.

ومثله قوله تعالى (اسأل القرية)[96] أي أهل القرية وقوله تعالى (ومن اثر الرسول)[97] أي اثر حافر فرس الرسول وفي قوله تعالى (ينسفها ربي نسفاً)[98] جيء بالمفعول المطلق المؤكد لفعله في الجواب دلالة على قوة الحدث لأن المصدر ابلغ فيه الإيهام مما يترتب عليه تهويل الحدث.

7. في قوله تعالى (يسألونك عن الساعة إيانا مرساها)[99] وجدنا الجواب كان استفهاماً أيضا عن مرساها من مرسى السفينة أي متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها[100].

فلما جاء السؤال بجملة استفهامية كان الجواب على غير ما ألفناه في الآيات السابقة التي تصدر جوابها لفظة (قل) فورد الجواب هنا استفهاماً وما احسب ذلك إلا إخفاء لشأنها وتحوطاً من ذكر سرها للبشر والله أعلم وكأن الجملة التي هي الجواب جاءت بدلاً أو على نية تكرار العامل المحذوف أي يسألونك عن الساعة أي عن أمر الساعة متى يكون، ففي السياق يبدو أن هناك تساؤلاً عن سبب سؤالهم فهم من قوله تعالى (فيم) ثم كان الجواب بالاستئناف بقوله (أنت من ذكرها) أي من علاماتها ويحتمل أن قوله تعالى (فيم أنت ذكراها)[101] مدعاة إلى صرف النظر عنها طالما انك أمنت بما أوحيت إليك وصدقت بي عليك إلا أن تصرف ذهنك وذهن غيرك عن ذلك الموعد لا عن أهميته والعمل له أي ليس علمها إليك حتى تذكرها لهم لأنها من الغيوب التي استأثر الله بعلمها فلماذا يسألونك عنها ويلحون

(96) يوسف: الآية 82.

(97) طه: الآية 96.

(98) المنهج السالك، ص 280.

(99) النازعات: الآية 42.

(100) الكشاف للزمخشري 4 / 219.

(101) النازعات: الآية 43، وينظر تفسير البيضاوي، ص 599.

في السؤال[102] وما كثرة الإلحاح إلا تطميناً للمؤمنين وهذا ما يقتضيه سياق الآيات الكريمة قال تعالى (فأما من طغى[103] وآثر الحياة الدنيا[104] فأن الجحيم هي المأوى[105] وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى[106] فأن الجنة هي المأوى[107] يسألونك عن الساعة أيان مرساها[108] فيم أنت من ذكراها[109] إلى ربك منتهاها[110] إنما أنت منذرّ من يخشاها[111] كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها)[112].

وحيث ما كان من أمر الساعة لم يخبر به الله تعالى قال تعالى (يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله)[113] وقال تعالى (إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك خفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون)[114] وذلك لأنها من الأمور

(102) تفسير البيضاوي 599.
(103) النازعات: الآية 37.
(104) النازعات: الآية 38.
(105) النازعات: الآية 39.
(106) النازعات: الآية 40.
(107) النازعات: الآية 41.
(108) النازعات: الآية 42.
(109) النازعات: الآية 43.
(110) النازعات: الآية 44.
(111) النازعات: الآية 45.
(112) النازعات: الآية 46.
(113) الأحزاب: الآية 63.
(114) الأعراف: من الآية 187.

التي أستأثر بها علام الغيوب[115] فجاء الجواب عن ذلك بالتشبيه المراد به التوقف عن الإلحاح بالسؤال عن ذلك الغيب الذي أستأثر به الله ولم يطلع عليه لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً[116].

ومن هنا يبدو أن جملة يسألونك في القرآن الكريم لها خصوصيتها التراكبية ونستطيع أن نجملها فيما يأتي:

أولاً: يسألونك من الأفعال الخمسة ومعروف إعرابها بنيابة الحروف بدل الحركات ومجيبوه على هذه الهيئة لتفخيم المسؤول وهو الرسول صلى الله عليه وسلم فضلاً عن أهمية السؤال لذلك كان الجواب على الأغلب مصدراً بفعل الأمر (قل) كي لا يناقش فيه وليفهم انه ملزم أولا **وثانياً:** انه غير عنديات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. **ثالثا:** ورد الفعل على هيئة التعدية في كل القرآن في خمس عشرة آية وبلا تعدية في ثلاثة مواضع وهي قوله تعالى (لا يسألون الناس إلحافاً)[117] وقوله تعالى (يسألون عن أنبائكم)[118] وقوله تعالى (يسألون أيان يوم الدين)[119] فورد الفعل لا يسألون بمعنى لا يطلبون وأن سألوا عن الضرورة لم

(115) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني 1 / 486.

(116) تفسير البيضاوي، ص 205.

(117) البقرة: من الآية 273.

(118) الأحزاب من الآية 20.

(119) الذاريات الآية 12.

يلحوا وقيل هي نفي للآمرين وفي قوله تعالى (يسألون عن أنبائكم)[120] أي عما جرى لكم قصد الإيقاع بكم[121].

رابعاً: قد يأتي جواب يسألونك مصدراً باستفهام كما في قوله تعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرساها)[122] فلما جاء السؤال كان الجواب على غير ما ألفناه في اكثر الآيات التي تصدر جوابها (قل) وما مجيء الجواب استفهاماً إلا إخفاء لشأنها وتحوطاً من ذكر سرها والذي يكون أوجب لتحققه والإيمان به غيباً لذلك جاء قوله تعالى (فيم أنت من ذكراها)[123] أي ما الذي يعنيك من أمرها طالما أنك آمنت بما أوحى إليك وصدقت به فاصرف ذهنك وذهن غيرك عن ذلك الموعد لها عن أهميته واعمل وستعلم كما انك مؤمن بالنتائج ولا داعي لكثرة السؤال والإلحاح فيه[124]. أو أن المعنى كما سبق وأن ذكرنا أن المراد به لم السؤال عنها وأنت من علاماتها[125].

خامساً: يبدو وكما هو مفهوم من سياق الاستعمال أن جملة يسألونك جملة شرطية مسبوقة بإذا المقدرة ومذهب سيبويه أن إذا لا يليها إلا فعل ظاهر نحو (إذا جاء نصر الله)[126] أو مقدر نحو (إذا السماء انشقت)[127] ولا يجوز غير هذا

(120) الأحزاب من الآية 20.

(121) تفسير البيضاوي، ص 442.

(122) النازعات: الآية 42.

(123) النازعات: الآية 43.

(124) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني 3 / 517.

(125) تفسير البيضاوي، ص 599.

(126) النصر: الآية 1.

(127) الانشقاق: الآية 2.

هو المشهور ونقل السهيلي أن سيبويه يجيز الابتداء بعد الشرطية[128] ومذهب الجمهور أن إذا مضافة إلى الجملة التي بعدها والعامل فيها جواب. وذهب بعض اللغويين إلى أنها ليست مضافة إلى الجملة بل هي معمولة إلى الفعل الذي بعدها لا لفعل الجواب.

وعليه يمكن القول أن (يسألونك) جملة حلت محل الشرط وأداته وأفاد معنى جواب جملة (يسألونك) أنباء من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم عما سيقع له من أسئلة تتعلق بأمر الرسالة الإسلامية في الدنيا والدين هذا ما وفقنا إليه من القول عن جملة جواب يسألونك في القرآن الكريم ونسأل الله أن ينفع به المهتمين باللغة العربية لغة القرآن الكريم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين.

(128) الجنى الداني بحروف المعاني، المرادي، ص 360 ـ 361، وينظر البحر المحيط لأبي حيان 8 /46.

Abstract

Answer of Yasaloonakah Sentence in Holey Quraian: Gramatical Study

Dr. Abdul Jabar Ahmad Salih [(*)]

The main clause (literally the answer of the conditional sentence) "they ask you" is one of the main subjects that attracts the attention of linguists. This paper is an attempt to study, the sentence under discussion, in the Glorious Qur'a:n. the study commes to the conclusion that this sentence "They ask you" is based on the imperative verb "say" which shows two things:

First: The main clause was not from the prophet Muhammed (Peace be upon him), but from (Allah). This is due to the importance of the answer of the question.

Second: The variation of the sentence in question from structural point of view was due to the difference between nominal and verbal constructions. The answers were very effective and so many of them were related to the human being's life at that time. These things were about mountains, women, the day of judgement and so on. Finally, one can say that this paper answered all the questions that occupied the minds of so many people.

(*)Department of Arabic Language – College of Arts / University of Mosul.